اجراءات الدولة الحمدانية في معالجة الازمات الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي

م.م. عمر صبحي نوري النعيمي

الملخص :

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "إجراءات الدولة الحمدانية في معالجة الأزمات الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي" دراسةً تحليليةً لدور الدولة الحمدانية في مواجهة التحديات الاقتصادية التي شهدتها بلاد الشام خلال تلك الحقبة، في ظل الاضطرابات السياسية والعسكرية التي أثّرت بشكل مباشر في البنية الاقتصادية.

كلمات مفتاحية: الدولة الحمدانية ، بلاد الشام ، العصر العباسي

The Hamdanid State's Measures in Addressing Economic Crises in the Levant during the Abbasid Era

A.L. Omar Subhi Nouri Al-Nuaimi

Research Summary :

This research, entitled "The Hamdanid State's Measures in Addressing Economic Crises in the Levant during the Abbasid Era," presents an analytical study of the Hamdanid state's role in confronting the economic challenges that the Levant faced during that period, amidst the political and military turmoil that directly impacted the economic structure .

Keywords: Hamdanid State, Levant, Abbasid Era

المقدمة :

شهدت بلاد الشام في العصر العباسي جملةً من الأزمات الاقتصادية التي ارتبطت بعوامل متعددة، من أبرزها الاضطرابات السياسية، وكثرة الحروب، وضعف السلطة المركزية في بعض المراحل، الأمر الذي انعكس سلباً على مختلف القطاعات الإنتاجية، ولاسيما الزراعة والتجارة. وفي خضم هذه الظروف برزت الدولة الحمدانية بوصفها إحدى القوى الإقليمية التي اضطلعت بدور مهم في إدارة شؤون البلاد ومحاولة الحد من تداعيات تلك الأزمات.

حيث جاء المبحث الأول ليتناول نسب الحمدانيين وأصولهم القبلية والسياسية، مع بيان نشأتهم ودورهم في الحياة السياسية في العصر العباسي، مما أسهم في فهم الخلفية التي انطلقت منها سياساتهم الاقتصادية.

أما المبحث الثاني فقد خُصص لدراسة الإجراءات التي اتخذتها الدولة الحمدانية في المجال الزراعي، حيث سعت إلى إعادة إحياء الأراضي الزراعية، وتنظيم شؤون الري، وتشجيع الفلاحين على الاستقرار والإنتاج، فضلاً عن تخفيف الأعباء الضريبية في بعض الفترات، الأمر الذي أسهم في تعزيز الإنتاج الزراعي وتحقيق نوع من الاستقرار الاقتصادي.

في حين تناول المبحث الثالث الإجراءات الاقتصادية في المجال التجاري، إذ عمل الحمدانيون على تأمين الطرق التجارية، وتنشيط حركة الأسواق، ودعم التبادل التجاري الداخلي والخارجي، إضافة إلى تنظيم الجباية والحد من بعض مظاهر الاحتكار، مما ساعد في إنعاش الحركة التجارية في بلاد الشام.

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن طبيعة الأزمات الاقتصادية التي شهدتها بلاد الشام في العصر العباسي، ومدى قدرة الدولة الحمدانية على التعامل معها ومعالجتها في ظل ظروف سياسية وعسكرية معقدة. فعلى الرغم من أهمية الدور الذي اضطلعت به هذه الدولة في إدارة شؤون المنطقة، إلا أن الدراسات التاريخية لم تُفرد – بالشكل الكافي – تحليلاً معمقاً لسياساتها وإجراءاتها الاقتصادية، ولاسيما في الجانبين الزراعي والتجاري.

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول جانباً مهماً من تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، يتمثل في دراسة الإجراءات الاقتصادية للدولة الحمدانية ودورها في معالجة الأزمات التي واجهت المنطقة في تلك الفترة. إذ يسهم البحث في إبراز البعد الاقتصادي لتاريخ الدولة الحمدانية، الذي لم يحظَ – في كثير من الدراسات – بالاهتمام الكافي مقارنة بالجوانب السياسية والعسكرية.

كما تكمن أهمية البحث في كونه يسلّط الضوء على السياسات الزراعية والتجارية التي اعتمدها الحمدانيون، ويحلل أثرها في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، مما يتيح فهماً أعمق لآليات إدارة الأزمات في التاريخ الإسلامي، ويكشف عن مدى مرونة هذه الدولة في التعامل مع التحديات الاقتصادية.

ويُعدّ هذا البحث إضافةً علميةً للمكتبة التاريخية، لما يقدمه من دراسة تحليلية تربط بين الواقع السياسي والاقتصادي، وتُبرز دور الإدارة المحلية في مواجهة الأزمات، في ظل ضعف السلطة المركزية في بعض مراحل العصر العباسي.

فضلاً عن ذلك، فإن البحث يكتسب أهمية تطبيقية من خلال إمكانية الإفادة من التجارب التاريخية في فهم أساليب إدارة الأزمات الاقتصادية، واستلهام بعض مبادئها في الدراسات الاقتصادية المعاصرة، خاصة في ما يتعلق بدعم القطاعات الإنتاجية وتنشيط الحركة التجارية.

اهداف البحث :

ويهدف البحث إلى بيان الأسس التي قامت عليها الدولة الحمدانية، وتحليل دورها في إصلاح القطاع الزراعي وتنشيط الحركة التجارية، فضلاً عن إبراز طبيعة تدخلها في تنظيم الموارد الاقتصادية. ولتحقيق ذلك، تم اعتماد المنهج التاريخي التحليلي القائم على تتبع الأحداث وتحليلها وربطها بالواقع الاقتصادي آنذاك.

اجراءات الدولة الحمدانية في معالجة الازمات الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي

المبحث الاول

نسب الحمدانيين

تمهيد:

ينتسب الحمدانيون إلى جدهم أبي العباس حمدان من حمدون و به تصفو، وهو احد أقدم فرد هذه الاسرة كان له دور بارز في التأريخ، فكأنت الاسرة الحمدانية تبدأ به، أما من قبله لا نعرف عنهم سوى بعض أسمائهم وبعض القصص التي يفتخرون بها وتحدث بها ابو فراس في شعره[١].

اما حمدان هذا هو ابن حمدون بن الحارث بن لقمان بن مالك بن العبيد بن عدي بن اسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب[٢].

أما المسعودي فيقول في هد النسب ((إنه حمدان بن الحارث بن منصور بن اقمان، ثم يعود فيقف مع ابن خلكان وغيره في تتمة نسب الحمدانيين))[3].

([1]),ابن الدهان الموصلي, ديوان, تحقبق عبدالله الجبوري, مطبعة المعارف, (بغداد 1968م), ص ١٠٩ .

([2]),ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة, (القاهرة : ١٩٤٨م), ١/١٧٥ .

([3]),المسعودي, ابو الحسن علي بن الحسين, مروج الذهب, تحقيق: اسعد داغر,دار الهجرة, (جدة 2012م), مروج الذهب, ٨ / ١٤٧.

وقد اشار العاملي[1].إلى نسخة خطية في ديوانه كان في حوزته حيث علق على هامشها نقلا عن ابن خالويه في شرح قول ابي فراس[2]. بما يلي: ((كان جده ابو العباس احمد بن حمدون أمار[3].المعتضد وحاشيته وقت إصعاده إلى حرب الطولونية. ولقد حدث عن ابي العباس حمدان بن حمدون قال ... فكأن احمد وحمدان اسمان لمسمى واحد هو جد الحمدانيين الادنى خاصة))[4]. والحق ان الاسرة الحمدانية نسبت الى حمدان و به عرفت و اشتهرت ولم تنسبوها الى احمد وفي هذا إجتماع المؤرخين. حيث ان ابا فراس يذكر جده بإسم حمدان فيقول :

حمدان جدي خير من وطي الثرى ..... وأبي سعيد في المكارم احمد

وقوله :

فما أنا من حمدان في الشرف الذي .....له منزل بين السماكين طالع [5].

وان بنو حمدان في أغلب الروايات وأرجحها هم بطن من بني تغلب حيث كانوا من وائل العرب العدنانية، ونجد ان الهمداني خالف هدا الري((فاعتبر بني حمدان موالي لبني تغلب))[6].

([1]),العاملي, محسن الامين, أعيان الشيعه, دار التعارف, (بيروت 1988م), ٢٨ ص ٨٧ .

([2]),في قصيدته الرائية الشهيرة يقول :

أبو الفيض مار الناس حولاً محرماً ..... وكان له جد من القوم مائر

([3]),مار وأمار: من الميرة أي انه زودهم بالأقوات .

([4]),العاملي, أعيان الشيعة , ٢٨ ص ٨٧ .

([5]),ابن جبير, محمد ابن احمد, رحلة ابن جبير, دار الهلال, (بيروت1999م), ص192.

([6]),الهمداني, ابو محمد الحسن بن يعقوب, صفة جزيرة العرب, مطبعة برلين,(ليدن1884م), ص١٣٣ .

ويقول ابن خلدون: ((ان ابن حزم لم يذكر بني حمدان في كتاب الجمهرة واعتبرهم موالي بني أسد)) غير أني رجعت الى الجمهرة فلم أجد أية إشارة الى هذا الموضوع، كما لم أجد أية اشارة الى بني حمدان علما ان هذا المرجع يعتبر الوحيد في ايراد انساب العرب[1].

الا ان عدم ايراد الحمدانيون في قبيلة تغلب في كلام ابن حزم لا يقف دليلا على نكران نسبتهم إلى تغلب الربعية[٢]. ويقول ابن خلدون: عند كلامه على موقف بني تغلب من الفتوحات الإسلامية ايام الخليفة عمر بن الخطاب في العراق كما سنرى لاحقاً حيث انه عرفت ثلاثة بيوت من تغلب في العهد الإسلامي هم: آل عمر بن الخطاب العدوي وآل هرون المعمر وآل حمدان المكون من الحارث[3].

وهكذا نرى ان خلدون يختلف هنا مع النسابة الآخرين فيجعل اسداً أباً للقمان بدل راشد ويستطر دقائلا أن هذه البيوت لم يذكرها بن حزم في كتاب الجمهرة وهو امر صحيح ويقول:((وقفت على حاشية في هذا الموضع من كتابه الجمهرة فيها ذكر هؤلاء الثلاثة. ويدكر في بني حمدان: انهم كانوا من موالي بني أسد. ثم تحدث في آخر الحاشية عن ابن حزم ونجد ان هذا الهامش قد اضافه شخص ما حصل على المخطوطة: ونجد ان لابن خلدون رأياً دقيقاً في موضوع النساب يتطلب الإهتمام حيث يقول:

([1]),ابن خلدون, عبد الرحمن, العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨١م), 56/2.

([2]),انظر: ابن حزم, ابو محمد على بن احمد, جمهرة أنساب العرب, دار المعارف, (مصر1962م), ص300. وقد ذكر بطون تغلب المشهورة وهم: بنو جشم وبنو مالك ابني بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

([3]),نفس المصدر, 2/ ٣٢٨ .

((ان بعضاً من الأنساب يسقط الى اهل نسب آخر بقرابة اليهم أو حلف او ولاء او الفرار من قومه لجناية اصابها فيدعي نسب هؤلاء، فولي القوم منهم وسواء كان مولى رق او اصطناع وحلف. والولاء نعرة كل احد على اهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اختصام جارها او قريبها او نسيبها .. ثم ان الصريح في النسب لا يكون الا للمتوحشين، اما الموجودون في مناطق الخصب فاختلطت انسابهم))[1].

كما ان المصادر على نسبة الحمدانيون يرجع الى بني تغلب متواجدة لدينا، فبالإضافة الى كلام المؤرخين السابقين في هذا الموضوع[2]. نستطيع ان نقدم بعض الشواهد على انهم من أصل عربي نقي لا يختلف فيه أي باحث في تاريخ بني حمدان. في وقت كان عصر للأعاجم له تاثير كبير على الحكم.

والذي يقرأ شعر ابي فراس الحارث بن سعيد الحمداني، يجده يغالي في التغني با مجاد تغلب ومكانتها في الجاهلية والإسلام، وبعرض بالاعاجم في اكثر من موضع في ديونه حيث قال:

وقد علمت ربيعة بل نزار ..... بأنا الرأس والناس الذنابي[3] .

([1]),ابن خلدون, العبر, ص ١١٤ / ١١٨.

([2]),الطبري ابن الأثير، ابن خلدون، ابن حوقل، الصولي، مسكويه ، التنوخي. الخ فهؤلاء وغيرهم و مثل ابن ظافر و ابن شداد، لم يوردوا ما يشير بشبهة إلى نسبة الحمدانيين لتغلب .

([3]),الزركلي, خير الدين بن محمود, الاعلام, دار العلم للملايين, (دمشق2002م), 253/1 .

المبحث الثاني

اجراءاتهم في الناحية الزراعية

برز الحمدانيون في ظل ضعف السلطة المركزية العباسية في القرن الرابع الهجري، عندما بدأت ظاهرة تفويض السلطة إلى الأسر العسكرية الإقليمية.

فتمكن حمدان بن حمدون وأبناؤه من تثبيت نفوذهم في الموصل، ثم توسع نفوذهم لاحقًا إلى بلاد الشام[1].

هذا الصعود لم يكن اقتصاديًا في بدايته، بل عسكريًا؛ إلا أن السيطرة العسكرية سرعان ما فرضت عليهم مسؤوليات إدارية واقتصادية، خاصة في إدارة الموارد وجباية الضرائب[2].

توسعهم في بلاد الشام

بلغت الدولة الحمدانية أوجها في عهد: سيف الدولة الحمداني في حلب ناصر الدولة الحمداني في الموصل وقد أصبحت حلب مركزًا سياسيًا واقتصاديًا مهمًا، خاصة في ظل موقعها التجاري الرابط بين الأناضول والعراق وبلاد الشام الداخلية[3].

لكن هذا التوسع جاء في سياق استمرار الحروب مع البيزنطيين اضطراب السلطة العباسية ان تنافس القوى الإقليمية (كالإخشيديين والفاطميين) وهذه العوامل مجتمعة خلقت بيئة اقتصادية هشّة[4].

([1]),علي حسن دره ,التاريخ الحضاري للدولة الحمدانية, اطروحة دكتوراه, كلية الاداب قسم التاريخ, جامعة بيروت العربية,(بيروت,2016), ص35.

([2]),المصدر السابق, ص36.

([3]),المصدر السابق, ص37.

([4]),المصدر السابق, ص38.

الوضع الاقتصادي في بلاد الشام قبل تدخل الحمدانيين

البنية الزراعية كان اقتصاد بلاد الشام قائمًا أساسًا على: زراعة الحبوب (قمح، شعير) الزيتون, الكروم, تربية الماشية, لكن هذه الزراعة كانت تعتمد على انتظام الأمطار شبكات الري, الاستقرار الأمني, وقد تعرضت تلك العوامل للاهتزاز نتيجة الغزوات البيزنطية المتكررة, اضافة الى تمردات محلية, ضعف الصيانة لقنوات الري مما أدى إلى تراجع الإنتاج الزراعي[1].

الا ان الدولة الحمدانية قامت بمجموعة إجراءات لمعالجة الأزمات منها :

أولًا: إعادة تنظيم الجباية عمل الحمدانيون على, تقنين الضرائب, منع الجباة من الزيادة العشوائية, تحديد نسب واضحة للخراج هذا الإجراء ساعد على, إعادة الثقة بين الدولة والفلاح تشجيع الإنتاج الزراعي[2].

ثانيًا: الإعفاءات الضريبية المؤقتة في حالات الجفاف أو الكوارث، منحت الدولة إعفاءات جزئية للفلاحين. هذا يعكس: إدراكًا مبكرًا لمفهوم "التحفيز الاقتصادي" فهمًا لأثر الضرائب على العرض الزراعي[3].

كما قامت الدولة الحمدانية بإصلاح قنوات الري وتمت صيانة بعض القنوات القديمة، خاصة حول حلب والفرات [4].

([1]),علي حسن دره ,التاريخ الحضاري للدولة الحمدانية, ص39 .

([2]),فيصل السامر, الدولة الحمدانية في الموصل وحلب, جامعة بغداد,(مطبعة الجامعة 1973), 44/2.

([3]),المصدر السابق, 45/2.

([4]),المصدر السابق, 46/2.

([5]),المصدر السابق, 47/2.

كما قامت على الفرات مدن ديار مضر كالرقة وقرقيسيا فستفادت مزارعها من قرب ماء النهر التي كانت ترويها بصورة جيدة دون تعب بسبب انخفاض طرف النهر . ونستطيع ان نقول ان المدن والأراضي التي تبعد عن مجرا الانهار اعتمدت على الامطار والينابيع والآبار[1].

وكانت أهم آلات الري الدولاب والدالية والناعورة والدولاب وهو الاسم الفارسي للآلة المسماة عند اليونان منجنون، أما الدالية فكانت ألة ترفع الماء وتديرها الأبقار. وأما الناعورة فكانت تركب على الانهار ويديرها الماء[2].

ويذكر ابن حوقل: بأعجابه في عربات نقل الماء الكثيرة في وسط دجلة وهي المطاحن القائمة في مجرى النهر الشديد الجريان حيث كانت مربوطة بسلسلة من الحديد في كل عربة يوجد (4) احجار يطحن في اليوم والليلة خمسين وقرأ، وهذه العربات من الخشب والحديد[3].

ويشير كذلك الى العربات في مدين بلد والرقة وقلعة جعبر وتكريت والحديثة التي كانت موجودة في منتصف دجلة، والتي كانت تجهز العراق باحتياجه من الطحين. وكانت أغلب مدن الجزيرة محاطة بالأراضي الزراعية [4].

([١]),ابن حوقل, محمد أبو القاسم الموصلي, صورة الأرض، دار صادر، (بيروت: ١٩٣٨م), ص190 .

([٢]),ابن جبير, رحلة ابن جبير, ص١٩٢.

([٣]),ابن حوقل, صورة الارض,2 /278 ؛ ادم متزه, الحضارة الإسلامية, ترجمة: عبد الهادي ابو ريدة, دار الكتب العربي, (بيروت2001م),٢/ ٢٤٨.

([4]),ابن حوقل, صورة الارض ,279/2.

فقد كانت الموصل قصبة ديار ربيعة - ذات نواح عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من اسباب النتاج والسائمة من الاغنام والكراع(وهي الدواب)[1].

ويعدد ابن حوقل الموارد التي تتمتع بها المنطقة فيقول((ان المرج اشتهر بسوق الاحد الذي زخر بالامتعة و قردى و باز بدى كانتا تنتجان القمح والشعير والحبوب الأخرى، بحيث ان كل ضيعة من ضياعها كانت تنتج الف كر من الحنطة والشعير))[2].

ويشير ابن حوقل الى انها اشتهرت بانتاج النبيذ الذي در موارد على الدولة تعادل ما كانت تدره الواردات الزراعية، وضرائب الخمرة هي التي تدعى باموال اللطف[3].

ونجد ان منطقة الخابور اشتهرت بكثرة الغلات, في حين ان انتاج الموصل من الحنطة والشعير كان كبير جداً حتى وصل انتاجها من الحاصل سنة (١٣٨هـ)(6000)كر[4].من الحنطة والشعير وبلغت قيمتها من الورق[5].(3000) الاف درهم[6].

([1]),ابن حوقل, صورة الارض, ص١٩٦.

([٢]),المصدر السابق, ص196.

([3]), المصدر السابق, ص196.

([4]),الكر(بضم الواو) كيل، وهو ستون قفيزا والتحفيز ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف (المصباح المنير) ٧٢٧/٢.

([5]),الورق (يفتح الواو وكسر الراء) المال من الدراهم (المصباح المنير٩٠٣/٧.

([6]),ابن حوقل, صورة الارض, ص١٩٦.

وزرع القمح والشعير بكميات هائلة في باعر بايا المصاقبة لباز بدى وفي برقعيد و با همداء و باز بدى و قردى[١].

كما كانت مدينة الموصل محاطة بمناطق زراعية خصبة للغابة ولها كور ورساتيق كثيرة ساعدات في امداد بلاد الشام بالكثير من المواد الزراعية والغذائية مما قوات موقف الدولة الحمدانية في بلاد الشام[2].

واشتهرت بعشيقة من نواحي الموصل بحقولها المثمرة بالزيتون والنخيل والنارنج التي ترويها عدة جداول[3].

وكانت مدينة حديثة محاطة ببساتين كثيرة وسهول فسيحة، واشتهرت هي وبلد بالعداد - أي الطواحين - التي كانت في وسط دجلة[4].

كما اشتهرت نصيبين بكثرة اشجارها وبساتينها المثمرة وانتاجها الرز والقمح والشعير الكروم الرائعة الزائدة رخيصة الاسعار، بإضافة الى مراعيها. وأنتاجها افضل انواع الشراب من الكروم[5].

بالإضافة الى أنتجته حقول نصيبين من بقول وفواكه اخرى . وكان يحيط سنجار سهول واسعة خصبة ومزارع انتجت الاثمار كالجوز واللوز و الزيتون والأترج، السمسم والرمان الطازج . فضلا عن كثرة النخيل في سنجار وهي ما امتازت بها على سائر اقساع الجزيرة مما ساعدة على نهوض الواقع الاقتصادي في بلاد الشام .

([1]),ابن حوقل, صورة الارض, ص١٩٦.

([٢]),المصدر السابق, ص١٩٩.

([3]),ابن حوقل, من كور الموصل, (يمني المدينة), ص196.

([4]),المصدر السابق, ص198.

([5]),المصدر السابق, ص 199.

وأنتجت ديار بكر مختلف الحاصلات الزراعية والفواكه واشتهرت بأشجار البلوط. ونجد في نصيبين الحبوب كالقمح والشعير الكثيرة كما نجد المراعي الواسعة التي تربى فيه الاغنام والمواشي[1].

كما اشتهرت ماردين بالاضافة الى فواكهها وكرومها بالزجاج الذي كان يصدر الى الكثير من مدن الجزيرة والعراق وبلاد الروم و فيفضل على ما سواه بجوهرية فيه[2].

وزادات شهرة حجر الأرحية الذي كان يستخدم في الطحن، حتى كان الحجر الواحد الذي يستخدم للطحن بالعراق يساوي نحو خمسين ديناراً[3].

وكانت جزيرة ابن عمر تصدر بالسفن الى الموصل العسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين[4].

كما ان مدينة بلد المعروفة بالأوصل كثيرة الشجر والثمر والخضر والفواكه والكروم كانت تصدر الى جميع البلاد المجاورة[5].

وعرفت كفرتونا بكثرة الاشجار والثمار والبساتين حيث ساعدة الدولة الحمدانية في تحسين الواقع الاقتصادي في بلاد الشام[٧].

([١]),ابن حوقل, صورة الارض, ص١٩٩.

([2]), المصدر السابق, ص١٩١.

([٣]),المصدر السابق, ص١٩٤.

([4]),المصدر السابق, ص٢٠١.

([5]),المصدر السابق, ص٢٠٣.

(6),المصدر السابق, ص١٩٩.

(٧),المصدر السابق, ص١٩٩.

ومن ثم فأن منسوجاتها من الثياب القطنية كانت تصدر إلى الشام وغيرها[1]. وكانت الرقة والجحشية وتنبذير مدن واسعة تمتاز بشجار مثمرة وبخاصة الكروم والسفرجل[٢].

واشتهرت رأس العين بالاضافة الى حاصلاتها الزراعية ومنتوجها الكثير من الفاكهة الذي كان تنتجه بكميات كثيرة[٣].

كما ان مدينة حران كانت من مراكز انتاج القطن بالاضافة إلى ما تميزت فيه من صناعية المكاييل الجيدة [٤].

كما كانت الجزيرة إقليما خصباً كثير المحاصيل والغلات كثير الخيرات، حتى قال الأصمعي فيه: ((كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعر بايا. وهي الموصل لقدرها عندهم فلم يناهم في خصبها شيء قطه وعن ريف الجزيرة وما يليها لانها تعدل في الخصب، عندهم بادر بايا))[٥].

لقد تعددت الحاصلات الزراعية في هذا الأقاليم التي استخدمت لاغراض غذائية كالقمح والشعير والمرز واشجار الفواكه المتعددة الأصناف كالنخيل[6].

([1]),المقدسي, أَبو عبد الله محمد بن أَحمد, أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، (القاهرة: ١٩٩١م), ص48.

([2]),الاصطخري, ابواسحاق ابراهيم محمد الفارسي ,المسالك والممالك, دار صادر,(بيروت2004م), ص٧٤.

([3]),ابن حوقل, صورة الارض, ص٢٠١.

([4]), المصدر السابق, ص٢٠٠.

([5]),المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم, ص١٤١.

([6]),ابن الفقيه، ابو عبدالله احمد بن محمد, مختصر كتاب البلدان, دار عالم الكتب,(بيروت1996م), ص١٣٥.

كما اننا نرى ان هناك زراعات قامت لا أغراض صناعية وفي مقدمتها القطن الذي زرع بكثرة في القليم الجزيرة بتشجيع من الحمدانيين، ويشير الجغرافيون القدامى الي الكثير من المدن التي نالت شهرة خاصة في انتاج القطن الجيد منها رأس العين وحران وعرابان وماكسين وغيرها[1].

ونستطيع القول بثقة أن زراعة التوت البري كانت تستهدف تربية دود القز لإنتاج الحرير الذي اشتهرت الموصل به ، وكذلك اشتهر اسواق باعشيقا من نواحي نينوى بانتاج االزيتون[2].

وكان في باجرمى من نواحي الموصل جبل يسمى شعران لكثرة اشجاره وهو جبل قنديل. وبالاضافة الى اشجار الكمثرى والعنب، اشتهر بانواع الطيور وبالاشجار الضخمة التي كانت تقطع جذوعها وترسل الى العراق[3].

وواضح ان هذه الأخشاب كانت تستخدم لأغراض البناء وصناعة السفن والأثاث. ولما كانت منطقة الجزيرة منطقة لصرانية آرامية قبل الفتح الاسلامي، وان المجتمع النصراني ظل قائماً فيها، فأن تقاليد صنع الأنبذة والخمور بقيت سائدة رائجة في عديد من المدن وكانت زراعة الكروم على نطاق واسع تبرر سعة هذه الصناعة .

([1]),المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم, ص١٤١.

([2]),الاصطخري, المسالك والممالك, ص٧٤.

([3]),ياقوت الحموي، شهاب الدين أَبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي, معجم البلدان، دار الفكر، ط٢، (بيروت: ١٩٩٠م),٤٧٢/1.

كما نجد الكثير من المصادر التي تحدثت عن قرى ومدن كانت فيها الكثير من الحانات مما ادى الى فرض الضرائب على الخمور[1]. واستخدم زيت الزيتون الذي زرع بوفرة اصناعة الصابون[2].

واشتهرت مراعي الجزيرة شهرة ذائعة مما أدى الى كثرة الجلود التي استغلت الصناعة الأحذية والسروج وغيرها بحيث اختصت سنجار بالمهارة في صناعة الاحذية واشتهرت بكثرة اساكفتها حيث كانت تمد بلد الشام بالإنتاج[3].

وبجانب الثروة الزراعية الهائلة اصبحت الجزيرة مكان للرعي ، وهذا لا يحتاج الى اثبات فهي منطقة سهوب وهضاب ووديان غزيرة الامطار نسبياً وما زالت اليوم من اغنى مناطق الشرق الادنى في تربية الاغنام والمواشي حتى قال ابن حوقل عن نصيبين ((انها كثيرة السائمة والكراع))[4].

اما الموصل فقد اشتهرت بتربية الغنم والابقار[5]. واشتهرت الجزيرة بـ و الأفراس الجزرية, واشتهرت مدينة الموصل بكثرة الصيود واشتهرت جزيرة ابن عمر بصناعة العسل والجبن والمن[6].

([1]),ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان, ص١٣٢.

([2]),ابن حوقل, صورة الارض, ص١٩٦.

([3]),المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم, ص١٤٠.

([4])المصدر السابق, ص١٩١.

([5]),المصدر السابق, ص١٩٣.

([6]),ابن الفقيه, مختصر كتاب البلدان, ص١٣٥.

اما الثروة المعدنية فقد كانت كثيرة جداً وقد اشرنا الى الاخشاب التي كانت تقطع وتصدر لاستخدامها لاغراض صناعية والزيوت والخمور والصابون[1].

وكان بالرقة على حد قول ابن الفقيه عن دهن الحظارة ((وفيه اعجوبة ، وذلك انه لا يتخذ الا في حالوت بها معروف فان اتخذ في غيره من الحوانيت فسد . وخاصته انه نافع للرياح والنقرس، فهو اذن مرهم طبي شديد الفاعلية ويحتاج الى رعاية وعناية وحفظ في جو معين كي لا يفسد))[2].

كما ان هناك اشارت كثيرة الى الملاح الذي كان يوزع الى العراق من بلاد الشام[3]. والحديد الذي لعب دوراً خطيراً في صناعة الاسلحة وفي العمران ، حتى لقد صنعت منه ابواب المدن[4].

اما الحجارة المتعددة الاصناف والكلس والجص فقد اشتهرت بها مدن الجزيرة وساعدتها على ان تقوم فيها ابنية كبيرة وعمرانية جميلة، حتى لنجد الحجارة البيضاء والسوداء والكلس والجص من مواد البناء المعتادة في بناء الاسوار والبيوت[5].

([1]),ابن الفقيه, مختصر كتاب البلدان, ص١٣٤.

([2]),ابن حوقل , صورة الارص, ص٢٠٥.

([3]),ياقوت الحموي, معجم البلدان, 177/1.

([4]),المقدسي, حسن التقاسيم, ص١٤٠ - ١٤١

([5]),ابن الفقيه, مختصر كتاب البلدان, ص١٣٣.

حيث نجد ان الثروة المعدنية كانت كثيرة الا ان الناس في تلك الفترة لم وان لم يستطعوا ان يستغلوها بشكل كبير. يقول ابن الفقيه:((ان الجبل الذي بآمد ... فيه صدع ، فمن انتضى سيفه فأولجه فيه وقبض على قبيعته بجميع ما فيه فقد اضطرب السيف في يديه وأرعد القابض وان كان أشد الناس))[1].

نجد ان استعمالات الثروة المعدنية محددة بروح حضارة ذلك العصر، وهي حضارة غير صناعية قطعاً وذات طابع زراعي اقطاعي .

لذلك نجد ان استخدم المعادن هي لتلبية الحاجات في الحرب والسلم والبناء مثل((أسوار المدن وابوابها وقصور الخاصة)). وبهذا الامر نجد بعض الامثلة على استخدام الثروة المعدنية لأغراض الانتاج . مثال ذلك تلك الحجارة النادرة الغالية الثمن التي اشتهرت بها آمد ايضاً بحيث كانت تباع القطعة الواحدة منها في العراق بخمسين ديناراً، والتي استخدمت لصنع الأرحاء(أي الرحى لأغراض طحن الحبوب)[2].

ومن هذه الامثلة استثمار براري الجزيرة ومقاوزها لجمع الملح والأشنان والقلى وهي مهمة قام بها ابناء ربيعة ومضر من البدو الذين اشتهروا بتربية الخيل والغنم والأبل، والذين كانوا على علاقة وطيدة بأهل المدن حتى نستطيع ان تحسبهم بدواً متحضرين[3].

([1]),ابن الفقيه, مختصر كتاب البلدان, ص١٣٣.

([2]),ابن حوقل, صوره الارص, ص٢٠١.

([3]), المصدر السابق, ص52.

كذلك اشتهرت بلاد الشام بصناعة الملح الذي كان يصدر الى العراق[1]. ويبدو ان الحجر الزجاجي او جوهر الزجاج ، كما كان يدعى استثمر بصورة جيدة فكان يستخرج من الجبال كجل ماردان مثلا - ويصدر الى مدن الجزيرة والعراق بل والى الدولة البيزنطية في بلاد الشام[2].

ونلاحظ ان الجزيرة كانت اقليماً واسع وغنى بالثروة عظيم الانتاج في مجالات الثروة الزراعية والصناعية ، حيث نجد ان هدا الامر هوا سبب الصراع السياسي بين القوى السياسية من اجل للاستئثار.

([1]),ابن حوقل, صوره الارص,ص206.

([2]),نفس المصدر, ص١٩٤.

المبحث الثالث

اجراءاتهم في الناحية التجارية

كانت الحياة التجارية في عصر الحمدانيين متعددة الألوان والجوانب، متغايرة الأحوال والمناسيب وكان على رأس الحياة في تلك الفترة الأمراء الحمدانيون أنفسهم فكانوا يتولون الأعمال التجارية من اجل معالجة الازمات التي واجهتها في فترة الحكم, بالإضافة الى الاعمال العليا وخاصة قيادة الجيوش وولاية الأقاليم فكان أبو العشائر على إنطاكية وأبو تغلب على حمص وأبو فراس على منبج وكل هؤلاء كانوا عمالا لسيف الدولة يأمن جانبهم لأنهم أهله وعصبته وعشيرته وكان بنو حمدان منتشرين في أرجاء الدولة الحمدانية في الموصل وحلب وما تبعهما من ديار مصر وديار ربيعة وديار بكر وأعمال حمص ودمشق وإنطاكية[1].

تميز القرن الرابع الهجري ينمو الحركة التجارية وانتشارها وقيام الدويلات المستقلة وظهور عدة اماكن تجارية بسبب تنافس الأمراء في جذب التجار[2].

كما لم يختلف الوضع العام للدولة الحمدانية في حلب عن دورة حياتها التجارية في الموصل، حيث اشتهرت حلب بالقوة والمكانة المتميز سياسين واقتصاديناً, وإذا كان الأمراء السابقون ينتزعون أموال الشعب في سبيل ملء الخزينة، فإن الحمدانيين كانوا يسخون بكل ما في الخزينة على جيوشهم لضمان النصر، وعلى الأنباء لرعاية العلوم، ليعودوا إلى ملتها سواء عند النصر بالغنائم، أو بالجباية والضرائب[3] .

([1]),مصطفى الشكعة, فنون الشعر في مجمع الحمدانيين, عالم الكتب, (بيروت1958م), ص241.

([2]),شعبان, ايمن احمد, الوان من تاريخ بني حمدان, ط1,دمشق,(مطبعة الاخاء1996م), 137ص .

([3]),د. فيصل السامر, الدولة الحمدانية في الموصل وحلب, ط1, بغداد,(مطبعة الايمان1970م),ص335.

مما يميز سياسة الحمدانيين التجارية والاقتصادية وبخاصة في عهد ناصر الدولة أنهم استصلحوا الأرض وزرعوا الأشجار المثمرة والغلات والحبوب، كالقطن والسمسم والأرز، وبذلك ارتفع خراجها وزادت غلتها وأصبحت من أهم الموارد التي تسد حاجتهم[1].

والغريب أن ابن حوقل نفسه هذا المؤرخ الذي ناصب الحمدانيين العداء) امتدح سياسة الحمدانيين التجارية فقال:((لما تملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها أي الموصل-الأشجار وكثرت الكروم وغزرت الفواكه والنخيل والخضر ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة إليها، وارتفاع وجبايات زادت على ما كانت عليه في سالف الزمان))[2].

ومن الناحية التجارية فمعلوم أن الشرق العربي كان في العصور الوسطة المكان الرئيسي التجارة أوربا. فقد كانت أوربا تستوردا القطن وقصب السكر من سورية وآسيا الصغرى، والحرير والتوابل من الشرق الأقصى، وبعد أنقسام الإمبراطورية الرومانية، أصبحت الدولة البيزنطية وارثة تجارة الشرق، وظلت تقوم بدور الوسيط بين أوربا وبلدان الشرق ...[3].

كما نجد أن العرب عملوا بالتجارة منذ القديم، حيث اشتهرت مكة قبل الإسلام بالتجارة المتميزة مع الشام، وفتحت الأسواق في مختلف البلاد وبخاصة في الحجاز[4].

(1), الشكعة, فنون الشعر, ص251.

(2),ابن حوقل, صورة الأرض, ص215-220.

(3),المصدر السابق, ص253.

(4),ديموميين, موريس جودفروا, النظم الاسلامية, ترجمة: صالح الشماع, بغداد, (مطبعة الزهراء1952م), ص249.

ونتيجة للاستقرار السياسي وتوقف الفتوحات وتواصل العرب بالعناصر الأجنبية أزدهرات الحركة التجارية في العالم الإسلامي، بسبب اتساع رقعة الدولة الاسلامية وتشجيع الخلفاء وحاجة القصور إلى أدوات البناء والامور الترفيهية، وبناء الأساطيل وتقدم المعرفة الجغرافية التي نبهت التجار إلى بلدان وأقاليم جديدة، بلأظافة الى مواسم الحج والتقاء العرب مع الامم الاخرة[1].

ونجد ان أنتشار الرفاهية بين المسلمين أدات الى ضرورة لتبادل المنتجات مع الدول الأجنبية، وإقليم الجزيرة لم يكن في العهد الحمداني مهملا في هذه الناحية فقد ارتبطت مدنه ببعضها وبالخارج بطرق داخلية وخارجية كثيرة من اجل حل الازمة الاقتصادية التي وقعت بها هد الدولة أهمها:

1. طريق البريد الذي يصل بغداد بالجزيرة محاذيا ضفة دجلة الشرقية فيدخل الجزيرة في تكريت ويظل يحاذي ضفة النهر اليسرى حتى الموصل[2].

2. وهناك طريق يصل بين الرقة والثغور يكمل الطريق السابق ويمر بعين الرومية (عين زربة تل عبدا سروج، المزينة، سميساط ، حصن منصور ملطية، كمخ، زبطرة، الحدث، مرعش[3].

3. وتتصل الموصل بنصيبين بطريق يمر بالموصل بلد باعيناثا، برقعيد . آذرمة، تل خراشة [4].

([1]),شعبان, الوان من تاريخ بني حمدان, ص138.

([2]),السامر, الدولة الحمدانية في الموصل وحلب, ص338.

([3]),ابن خرداذبة, ابو القاسم عبدالله بن احمد الخرساني, المسالك والممالك, (ليدن, 1889م), ص154.

([4]),نفس المصدار, ص155.

4. ونلاحظ على نهر الفرات طريق البريد الذي يجاري الضفة اليمني أو القربية من هذا النهر، ويصل إلى عانة ثم يتفرع إلى فرعين يذهب أولهما إلى الرقة محاذياً نهر الفرات، ويخترق ثانيهما وهو الأيسر الصحراء إلى مدينة الرقة أيضا مارا برصافة هاشم ثم إلى سروج وسميساط[1].

5. ونجد طريق مهم يصل الجزيرة الشام ويبدأ من سامراء ويمر ببالس، الحديثة، الموصل بلد نصيبين رأس عين الرقة، منبج، حلب، قنسرين حماة، حمص، جوسية، بعلبك، دمشق[2].

6 طريق الفرات: بلد، تل أعفر، سنجار، عين الجبال، سكير العباس، الفدين ماكسين، قرقيسيا)[3].

نلاحظ مما سبق أن طرق التجارة كانت كثيرة ووفيرة ،حيث تربط بغداد بمدن الجزيرة من جهة، ومدن الجزيرة ببعضها من جهة ثانية، وإقليم الجزيرة بالشام وببلاد الروم وأرمينية من جهة أخرى.

كما تميزت الموصل بموقعها الجغرافي حيث كان كثير الأهمية، فهي تقع على نهر دجلة حيث كان يمثل نقطة انطلاق الى جميع البلدان، فهي(بـــاب الـعـــراق) ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، كذلك أصبحت من المدن التجاريـــة الممتازة في العصور الوسطى، وأشبه بهمزة الوصل بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية[4]. مما ساعدت الدولة الحمدانية في رفد التجارة في بلاد الشام بالمنتوجات بكافة صنوفها .

([1]),شعبان, الوان من تاريخ بني حمدان, ص139.

([2]),ابن خرداذبة, ابو القاسم عبدالله بن احمد الخرساني, المسالك والممالك, ص154.

([3]),شعبان, المرجع السابق, ص139.

([4]),المرجع السابق, ص140.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الموسوم بـ "إجراءات الدولة الحمدانية في معالجة الأزمات الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي"، يتضح أن الدولة الحمدانية مثّلت نموذجاً مهماً في إدارة الأزمات الاقتصادية ضمن ظروف سياسية وعسكرية معقدة. فقد أسهمت خلفيتهم القبلية والسياسية، التي تم تناولها في المبحث الأول، في تشكيل رؤيتهم الإدارية وقدرتهم على التكيّف مع التحديات التي واجهت بلاد الشام.

وأظهرت الدراسة في المبحث الثاني أن الحمدانيين أولوا عناية خاصة بالقطاع الزراعي، باعتباره الركيزة الأساسية للاقتصاد، فعملوا على إصلاح نظم الري، وإحياء الأراضي الزراعية، وتخفيف الأعباء عن الفلاحين، مما انعكس إيجاباً على زيادة الإنتاج وتحقيق قدر من الاستقرار الغذائي.

كما بيّن المبحث الثالث أن السياسات التجارية التي انتهجها الحمدانيون كانت ذات أثر واضح في تنشيط الحركة الاقتصادية، من خلال تأمين الطرق التجارية، وتنظيم الأسواق، وتشجيع التبادل التجاري، الأمر الذي أسهم في دعم موارد الدولة وتعزيز النشاط الاقتصادي العام.

وعليه، يمكن القول إن الدولة الحمدانية استطاعت، إلى حدٍ كبير، أن تواجه الأزمات الاقتصادية بوسائل عملية وإجراءات مدروسة، رغم ما أحاط بها من تحديات داخلية وخارجية، مما يعكس كفاءة إدارتها الاقتصادية ومرونتها في التعامل مع الأزمات.

المصادر والمراجع :

1-ابن خلكان، شمس الدين أَحمد بن محمد, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة, (القاهرة : ١٩٤٨م)

2-المسعودي, ابو الحسن علي بن الحسين, مروج الذهب, تحقيق: اسعد داغر,دار الهجرة, (جدة 2012م)

ابن الدهان الموصلي, ديوان, تحقبق عبدالله الجبوري, مطبعة المعارف, (بغداد 1968م), ص ١٠٩ .

العاملي, محسن الامين, أعيان الشيعه, دار التعارف, (بيروت 1988م),

ابن جبير, محمد ابن احمد, رحلة ابن جبير, دار الهلال, (بيروت1999م)

الهمداني, ابو محمد الحسن بن يعقوب, صفة جزيرة العرب, مطبعة برلين,(ليدن1884م)

,الزركلي, خير الدين بن محمود, الاعلام, دار العلم للملايين, (دمشق2002م), 253/1 .

ابن خلدون, عبد الرحمن, العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨١م).

انظر: ابن حزم, ابو محمد على بن احمد, جمهرة أنساب العرب, دار المعارف, (مصر1962م)

علي حسن دره ,التاريخ الحضاري للدولة الحمدانية, اطروحة دكتوراه, كلية الاداب قسم التاريخ, جامعة بيروت العربية , (بيروت,2016),

فيصل السامر, الدولة الحمدانية في الموصل وحلب, جامعة بغداد,(مطبعة الجامعة 1973)

ابن حوقل, محمد أَبو القاسم الموصلي, صورة الأَرض، دار صادر، (بيروت: ١٩٣٨م), ص190 .

ادم متزه, الحضارة الإسلامية, ترجمة: عبد الهادي ابو ريدة, دار الكتب العربي, (بيروت2001م)

المقدسي, أَبو عبد الله محمد بن أَحمد, أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، (القاهرة: ١٩٩١م),

الاصطخري, ابواسحاق ابراهيم محمد الفارسي ,المسالك والممالك, دار صادر,(بيروت2004م),

ياقوت الحموي، شهاب الدين أَبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي, معجم البلدان، دار الفكر، ط٢، (بيروت: ١٩٩٠م)

ابن الفقيه، ابو عبدالله احمد بن محمد, مختصر كتاب البلدان, دار عالم الكتب,(بيروت1996م),

,مصطفى الشكعة, فنون الشعر في مجمع الحمدانيين, عالم الكتب, (بيروت1958م).

,شعبان, ايمن احمد, الوان من تاريخ بني حمدان, ط1,دمشق,(مطبعة الاخاء1996م) .

د. فيصل السامر, الدولة الحمدانية في الموصل وحلب, ط1, بغداد,(مطبعة الايمان1970م).

ديموميين, موريس جودفروا, النظم الاسلامية, ترجمة: صالح الشماع, بغداد, (مطبعة الزهراء1952م),

ابن خرداذبة, ابو القاسم عبدالله بن احمد الخرساني, المسالك والممالك, (ليدن, 1889م).